عرض كتاب :الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية
قراءة معرفية في الرواسب الثقافية

أد . عبد الرحمن عزي (جامعة الشارقة)

الدار المتوسطية للنشر ، تونس ، 2010 ، 226 صفحة

تقديم: د . نصير بوعلي، كلية الاتصال، جامعة الشارقة
nbouali@sharjah.ac.ae
bounacir@yahoo.fr

صدرفي منتصف شهر أبريل 2010 عن الدار المتوسطية للنشر بتونس بالاشتراك مع مؤسسة بن راشد آل مكتوم بالإمارات للمفكر الإعلامي عبد الرحمن عزي كتاب من الحجم المتوسط (226 صفحة) في طبعة أنيقة موسوم: " الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية ، قراءة معرفية في الرواسب الثقافية". ويعتبر هذا الكتاب امتدادا لمؤلفه السابق "دراسات في نظرية الاتصال ،نحو فكر إعلامي حضاري متميز" الذي أحدث منذ بضعة سنوات أثره الكبير لدى قارئ الإعلام في الوطن العربي على مستوى الحفر الصحيح في المرجعية الفكرية والتخمين الدقيق والتصور الكلي فيما أصبح يعرف الآن بنظرية الحتمية القيمية الإعلامية واتساع دائرة الانتماء المعرفي لهذه النظرية .

الكتاب الجديد يقدم نماذج من ظواهر ثقافية كامنة في الإعلام تلعب الدور المحرك في ترقية أو إبطال الفعل الثقافي القيمي بالمنطقة العربية. ويندرج الكتاب الجديد لعبد الرحمن عزي هذه المرة في معالجة الظاهرة الإعلامية ليس من حيث ماينبغي أن تكون عليه هذه الظاهرة وإنما يصب عزي عبد الرحمن كل اهتمامه فيما هو كائن واقعيا ، أي معالجة الشروخ البنيوية التي أحدثها الإعلام في أطراف الثقافة . يحتوي الكتاب منظومة عبد الرحمن عزي المفاهيمية التي تؤسس من جديد للإعلام والثقافة ضمن دائرة الأنا والآخر معا .وهذه المفاهيم كالمخيال الإعلامي، الزمن الإعلامي، المكان الإعلامي، الخوف الإعلامي، الرأسمال الإعلامي الرمزي ،عنف اللسان ، بيولوجية العقل والتفكير وفعل السمع والبصر إلخ ... كلها مفاهيم وليدة البيئة ومنسجمة مع الحضارة التي ينتمي إليها الباحث . وتشكل هذه المفاهيم في اعتقادي نوعا من القطيعة مع مفاهيم السياق الإعلامي الحالي المجسد والمجرد الموروثة في معظمها عن أدبيات غربية نتيجة الاحتكاك الذي يسود المنظومة الأكاديمية والمهنية مع المنظومة المفاهيمية الغربية.وتمثل هذه المفاهيم رموزا تشير إلى منظومة عبد الرحمن عزي الاتصالية والإعلامية وتساعد الآن في صياغة تفسيره للإعلام من زاوية الإنتاج والإبداع الذاتي المستقل ليس قيميا

فحسب وإنما معرفيا ومفاهيميا أيضا عن الآخر، وهو الشيء الذي يبين بوضوح المنظور العام (Perspective) لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام .

يضم الكتاب بين دفتيه الدراسات التالية في شكل فصول: "الزمن الاجتماعي والزمن الإعلامي، قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية؛ المكان الرمزي وتفكك العلاقة القيمية مع الأرض في المنطقة العربية ؛ فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام بالمنطقة العربية ؛تجليات الخوف في الصحافة : بناء الخوف وانكسار البنية القيمية في الصحافة العربية؛ الرأسمال الرمزي الجديد: قراءة في هوية وسوسيولوجية الفضائيات بالمنطقة العربية؛ القيمة والإعلام والبنية البيولوجية للعقل والتفكير"

ويشير أ.د/ عبد الرحمن عزي من خلال هذه الفصول إلى الرواسب الثقافية التي لطالما تتفكك بفعل تدخل الإعلام في صيرورتها التاريخية بوصفه (أي الإعلام) متغيرا داخليا ثقيلا أحيانا أو متغيرا خارجيا ضاغطا أحيانا أخرى، مع إشارة الباحث عزي أيضا ولو باختصار إلى آثار الماضي التي لازالت عالقة في العديد من عناصر الثقافة .وقد ترتب عن هذا التدخل الثلاثي تشوه للمشهد الثقافي والإعلامي أولا بإبعاد القيمة التراثية الدالة وثانيا بفتح المجال على مصراعيه نحو الثقافة التفاهية ومحاكاة الغرائز والفضولية والإثارة والغرابة وما إلى ذلك من رأسمال إعلامي رمزي غير قيمي والتباهي من قاعدة ابن خلدون التي تنطبق على هؤلاء "المغلوب مولوع بثقافة الغالب".

يأتي هذا المؤلف ليضيف إلى سياق نظرية الحتمية القيمية الإعلامية المنتسبة إلى البروفسور عبد الرحمن عزي أشياء كثيرة على مستوى التعريف والوصف والتفسير والتأويل للنظرية، كما أنه مساهمة قوية تعبر بطريقة غير مباشرة عن الدوافع الداخلية الكامنة التي تدفع بالباحث نحو المزيد من التشخيص الصحيح للظاهرة الإعلامية من منطلق حضاري بعيدا عن الأطروحات البيانية "الخطية" التي تنظر(بضم التاء وكسر الضاد المشددة) للظاهرة الإعلامية في الغالب بنظرة غير سياقية وتفتقر للمنظورات الكلية ، مما يجعلها في النهاية مجرد أرقام قد تعني شيئا وقد لاتعني شيئا على الإطلاق .

وقد أمعن المفكر عزي عبد الرحمن في جميع كتبه ودراساته في الحفر حول مشكلات التخلف المزمنة الثقافية عموما والإعلامية بالأخص متجاوزا الظواهر الطافية على السطوح إلى الجذورالمتغلغلة في الأعماق وباحثا عن السنن والقواعد والقوانين التي تكفل الانتقال من التكديس

إلى البناء ومن الوصف والنقل إلى التحليل وأن مفاتيح الحل للظاهرة الإعلامية هي عند الذات وليس عند الآخر، لكن كلما تجاورت وتفاعلت القيمة مع المحتوى الإعلامي وهو الشرط الضروري . وهذا الطرح لايخرج كثيرا عن أفكار مالك بن نبي الذي عندما سئل ذات يوم عن الحضارة قال : ينبغي أن نتجاوز مشكلة الاستعمار لنعالج أيضا مشكلة القابلية للاستعمار . وتلك مسألة أخرى وسياق آخر (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). (الرعد،11). ومعروف عن كتابات عزي عبد الرحمن ذلك الامتداد التاريخي الذي يستشف الكثير من أفكار مالك بن نبي في الحضارة وابن خلدون في المجتمع... وسبق وأن أشرنا في دراسة سابقة أن نظرية عزي عبد الرحمن الإعلامية اتضح أنها لاتوجد على السطح أو على ظاهر الأشياء وإنما الكشف عن النظرية يكون من خلال البنية الداخلية وعلاقة هذه البنية بالسياقات المختلفة المؤطرة من قريب أو من بعيد للنظرية .

بقي في الأخير شيء ضروري أن يقال أن قراءة كتاب عبد الرحمن عزي الأخير، مهم جدا لكن من حيث ما هو كائن (الواقع الإعلامي في المنطقة العربية والإسلامية قراءة تأويلية بمفاهيم جديدة في حقل علوم الإعلام والاتصال) ، أما الدعوة إلى قراءة كتبه السابقة فهو من أجل معرفة الكيفية التي يتصور بها الإعلام وما ينبغي أن يكون عليه . فدراساته السابقة هي بعبارة بسيطة تبحث في "المجرد" (للإقتداء به) ، أما كتابه الأخير فهو في "المجسد" ورصد للتجربة الإعلامية واقعيا وما يحيط بها من شوائب وكيفية تناقض أجزائها (الزمن ، المكان ، المخيال ، الخوف ، الخ ...) مع القيمة ، ثم الكيفية أو الوصفة الدوائية التي تسمح بانبعاث أو تشكيل القيمة من جديد في المنظومة الإعلامية وما تحويه من بنيات ثقافية كامنة .